مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112-4040, ر ت م د إ : 2588-204X
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 389-409 تاريخ النشر: 2018/12/13



منهج التجديد في علم الكلام عند عبد المجيد النجار
Method of islamique theologyl when Abdul Majeed Al - Najjar

د. الشيخ خليفي
khelificheikh@gmail.com
جامعة تلمسان

تاريخ الإرسال:2018/08/19 تاريخ القبول: 2018/11/11

الملخص:

الورقة البحثية بيان للجهود العلمية والمنهجية التي قام بها الأستاذ عبد المجيد عمر النجار في سبيل تجديد وبعث علم الكلام أو علم العقيدة الإسلامي لكي يستأنف دوره الحقيقي في خدمة العقيدة الإسلامية والإقناع بها والدفاع عنها ضد الشبهات والتحديات الواردة عليها بما يستجيب لاحتياجات العصر وظروفه، وذلك بتحديد معنى التجديد في علم العقيدة الإسلامية، وبيان الفرق بين العقيدة وعلم العقيدة والكشف عن دواعي التجديد ومبرراته، وإبراز لأهم العوائق التي تقف أمام هذه العملية، كما تتناول هذه الورقة معالم التجديد عند النجار في جوانبها النظرية والتطبيقية .

الكلمات المفتاحية: العقيدة الإسلامية، التجديد في علم الكلام ،منهج التجديد، عبد المجيد النجار .

Abstract:

The paper is a statement of the scientific and methodological efforts undertaken by Professor Abdul Majid Omar Al-Najjar in order to renew and resell the science of speech or the doctrine of Islamic faith in order to resume its true role in the service of Islamic faith and to convince and defend it against the suspicions and challenges contained therein to respond to the needs and circumstances of the times, Renewal in the science of Islamic faith, and the difference between the doctrine and theology and the discovery of the

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 389–409 تاريخ النشر: 2018/12/13

reasons for renewal and justifications, and highlight the most important obstacles to this process, and this paper addresses the features of innovation in the carpenter in its theoretical and applied aspects.

Key words: Islamic faith, Renewal in theology, Method of Renewal, Abdul Majeed Al-Najjar

مقدمة:

إنّ العقيدة الإسلامية تعد ركن ركين في الإسلام ولهذا فقد بذل النبي صلى الله عليه وسلم في سبيل ترسيخها في النفوس وتصحيح مفاهيمها في العقول جهدا عظيما، وقد سار على نهجه من بعده العلماء الربانيون والمصلحون المجددون، كلما تعرضت لتشويه أو طرأ عليها انحراف نهضوا بكل ما أوتوا من قوة لإرجاع الأمة إلى دينها وترشيد وعيها به .

غير أنّ الذي تعرضت إليه العقيدة الإسلامية في المرحلة الأخيرة من عمر الأمة دفع علماء الإسلام إلى الدعوة إلى ضرورة البحث عن طريقة جديدة في بيانها والاستدلال على حقائقها ودفع الشبهات الواردة على أركانها، وذلك لا يكون إلا من خلال التجديد في العلم الذي يعرضها ويدعوا إليها، وهو علم الكلام أو علم العقيدة . وعبد المجيد النجار [1] واحد من علماء العقيدة الإسلامية المعاصرين له رؤية خاصة في الموضوع، وجهود ومساهمات في القضية وجب علينا الوقوف عندها وإبرازها دفعا إلى تحقيق الغاية المنشودة وهي الوصول إلى التجديد في علم الكلام كحقيقة واقعية ذات أثر معرفي وديني على جميع المسلمين وهذا من خلال مجموعة من العناصر هي كالتالي :

أولا– مفهوم التجديد في علم الكلام :

[1] – عبد المجيد النجار أستاذ جامعي تونسي متفرغ، متخصص في أصول الدين من الكلية الزيتونية للشريعة، ومن الأزهر الشريف. درّس في عدد من الجامعات العربية، وله عدد من الكتب والأبحاث، منها: العقل والسلوك في البنية الإسلامية، وفقه التدين: فهماً وتنزيلاً، ودور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين وكتب كثيرة أخرى ...

ينطلق عبد المجيد النجار في بيان مفهوم التجديد في علم الكلام أو علم العقيدة من مسألة جوهرية طالما أوقعت اللبس في أذهان الناس وشوشت رؤيتهم لعلم الكلام ألا وهي الخلط بين العقيدة الإسلامية كحقائق إلهية والعلم المشتغل بها وهو علم العقيدة .

فما هي أما الفروق الجوهرية بينهما ؟

أ / الفرق مابين العقيدة وعلم الكلام :

يرى النجار أنّ علم العقيدة هو ذلك العلم الأصيل الذي نشأ في رحاب الثقافة الإسلامية فرضته أسباب معينة بعضها من داخل الأمة الإسلامية وأخرى من خارجها لكنه مع ذلك نشأ ونضج داخل المنظومة الإسلامية وهو متولد عنها خارج منها، وحتى لا يقع التداخل بين العقيدة وعلم الكلام المشتغل بها قدم جملة من الفروق الأساسية بينهما تميز أحدهما عن الآخر تتمثل في ما يلي [1] :

إنّ العقيدة أحكام وحقائق إلهية، أي أن مصدرها الوحي قرأنا وسنة .

وأما علم العقيدة فهو ما نشأ متعلقا بالعقيدة من مباحث تشرح مفرداتها فهو بهذا مباحث وشروح واستدلالات إنسانية. والعقيدة تتصف بأنها تعاليم محدودة لا تزيد ولا تنقص وليس لأحد أن يتصرف فيها بإضافة ليها أو حذف منها من اجتهاده العقلي .

وهي من جهة أخرى إذا ما حصرت وجدت أنها لا تزيد عن بضع صفحات كما جاءت في مؤلفات العديد من العلماء الذين ضبطوها في رسائل صغيرة مثل العقيدة الطحاوية، وجوهرة التوحيد لإبراهيم اللّقّاني، والمرشدة لابن تومرت .

ضف إلى ذلك أن العقيدة تتصف بأنّها ثابتة لا يطالها ولا يمسها التغيير والتحوير بالاجتهاد، ولا ينالها التطّور لملاءمة متغيّرات الأحوال، بل هي تظل باقية على حالها كما

[1] – عبد المجيد عمر النجار – الايمان بالله وأثره في الحياة، ط 1، دار الغرب الإسلامي 1997 م: 11-13

جاءت بها نصوص الوحي على مرّ الزّمن، وفي كل الظروف التي تنقلب فيها حياة الإنسان .

وأما علم العقيدة أو علم الكلام فإنه بحث إنساني في أحكام العقيدة: فهما وشرحا واستدلالا وردا للشبه .

كما أن علم العقيدة يتصف بأنه غير محدود في مسائله وقضاياه، بل هو ممتد في ذلك إلى غير نهاية، تتزايد فيه الشروح والأدلة والردود بما يتزايد من مشاركة الباحثين والعلماء عبر الزمن، وتتوسع مادته في ذلك بما يتسع من المعرفة الإنسانية التي تصلح أن تتخذ مقدمات للاستدلال على حقائق العقيدة، وبما يتسع من الجبهات التي ترد منها التحديات الموجهة إليها فتستلزم ردودا عليها بالتفنيد.

وعليه فإذا كانت العقيدة لا تتجاوز في حجمها صفحات قليلة كما ذكر، فإن علم العقيدة يتسع ليشغل المجلدات الضخام كما هو متمثل في مدونة القاضي عبد الجبار المسماة "المغني في أبواب التوحيد والعدل" والتي تجاوزت في حجمها العشرين مجلدا ضخما.

وإذا كانت العقيدة ثابتة لا تتغير عبر الزمن، فإن علم العقيدة ينمو ويتطور بما يقتضيه النمو والتطور من إمكانية التغير؛ ذلك أن الشروح والاستدلالات والردود تخضع لما تقتضيه أحوال الناس وأوضاعهم في الفهم والاقتناع، ولما تقضيه التحديات في طبيعتها من الردود الداحضة ،فرب شرح أفهم في عصر، ورب دليل أقنع فيه، ولكن في عصر آخر لا يكون بهما إفهام أو إقناع، وكذلك رب شبهة واردة على العقيدة تدحض برد عند جيل من الناس، ولكنها لا تدحض بذات الرد عند جيل آخر وهو ما يحصل بسبب التغير الذي يحدث في عقليات الناس وثقافاتهم عبر الزمن؛ ولذلك فإنه يكون من الوارد على علم العقيدة بل من الضروري في حقه أن تتغير فيه بعض الشروح والاستدلالات والردود بما يضمن لحقائق العقيدة الفهم والإقناع، وما يضمن لها الدّحض للشّبه الواردة عليها، فيكون إذن علم العقيدة متوسّعا متطوّرا عبر الزّمن بحسب ما يحقق غايته في إثبات العقيدة

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112-4040, ر ت م د إ : 2588-204X

المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 389-409 تاريخ النشر: 2018/12/13

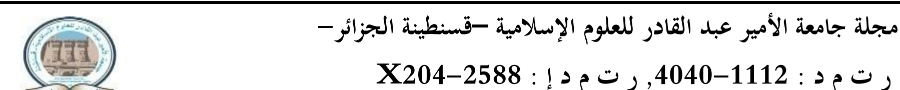
ونصرتها، وتكون العقيدة ثابتة محدّدة كما جاء بها الوحي، غير قابلة لزيادة ولا لنقصان، وذلك بما هي تعاليم إلهيّة ورد بها الخبر الشّرعي قرآنا وحديثا، وليس للخبر الشّرعي أن يناله التّغيير[1]. هكذا يميز النجار بين العقيدة وعلم الكلام ، وعليه فنحن حينما نطلق عل بعض الكتب والمنصنفات أنها كتب العقيدة فليس معناه أنها معصومة من الخطأ في بياناتها وشروحها للعقيدة الإسلامية كما يعتقد البعض خطأ اليوم، بل على العكس من ذلك فالخطأ وارد على تقريرات أصحابها واستدلالاتهم ففيها الصواب وتعتريها الأخطاء ولا عصمة لأحد إلا ما أثر عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فيها.

ب – حقيقة علم الكلام أو علم العقيدة :

بناء على ما تقدم من بيان الفروق الأساسية بين العقيدة وعلمها، فإنّ علم الكلام تتشكّل حقيقته أساسا من طبيعة علاقته بالعقيدة نفسها، وهي علاقة بيان واستدلال وردّ الشبه والمطاعن المثارة ضدها. هذا وقد عرّف العلماء علم الكلام بتعريفات كثيرة ومتعددة ومن أقدم ما وصل إلينا منها، ما ينسب للإمام أبي حنيفة والذي سماه بالفقه الأكبر وهو معرفة النفس ما يجوز لها من الاعتقادات عن أدلة ، وتعريف الفاربي في القرن الرابع الهجري والغزالي في القرن السادس وفي القرون التالية – من السابع إلى التاسع – نجد تعاريف عديدة تؤكد على جانبين لعلم الكلام جانب إيجابي فيه والذي يقصد به إثبات العقائد الدينية وجانب سلبي الذي يعمد إلى رد الشبه عنها [2] ولعل أجمع تعريف وأكثر تداول وأوسع شهرة، هو أنّه : " علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدّينية بإيراد الحجج ودفع

[1] – المرجع السابق: 12-13

[2]– حسن محمود الشافعي –المدخل إلى علم الكلام، ط 2، مكتبة وهبة، القاهرة، 1411ه/1991م: 13- 19



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–

ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204

المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 389–409 تاريخ النشر: 2018/12/13

الشبه "[1] وهذا التعريف لعلم الكلام هو الذي تبناه عبد المجيد النجار وقال به وقد نسبه إلى الإيجي [2]. بينما حسن الشافعي ذكر أن البيضاوي هو الذي قاله [3].

إذن فعلم الكلام تتقوّم حقيقته بالبحث في المعتقد الإسلامي بحثا يتّجه إلى الشرح لهذا المعتقد والاستدلال عليه لإثبات حقيقته، كما يتّجه إلى رد المطاعن التي توجه إليه لنقضها ببيان زيفها وإبطال مآخذها، تكملة بذلك للإثبات بإبطال النقيض[4]. ويرى طه عبد الرحمان أنه أحق أن يدعى بعلم المناظرة العقدي من أن يدعى باسم آخر لما فيه من مواجهة بين أصحاب العقائد [5].

وبغض النظر عن التسمية المختارة لهذا العلم فإن حقيقته لا تخرج عن البيان والاستدلال ودفع الشبه وحتى الذين جاءوا في العصور التالية – للقرن التاسع كالسنوسي أو التهانوي أو الباجوري أو محمد عبده انتهوا إلى تعاريف قريبة من هذا المعنى [6] .

ج – تعريف التجديد في علم الكلام :

التجديد نوع من أنواع الاجتهاد وهو عملية شاقة تتطلب بذل الوسع وإستفراغ الجهد في الشيء، والتجديد الفكري في الإسلام عموما ليس نسخا أو تأسيسا لفكر

[1] – علي بن محمد الجرجاني –شرح المواقف لعضد الدين الإيجي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419 هـ/1998م: ج1ص40

[2] – عبد المجيد عمر النجار – الايمان بالله وأثره في الحياة: 13 - 14

[3] – حسن محمود الشافعي – المدخل إلى علم الكلام: 13- 19

[4] – النجار – الايمان بالله وأثره في الحياة: 13-14

[5] – طه عبد الرحمان – في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط 4، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2010م: 70

[6] – حسن محمود الشافعي – المدخل إلى علم الكلام: 20

جديد، أو مجرد إحياء لفكر قديم، بل هو عملية تفاعل حيوي داخل فكر قائم لإعادة اكتشافه وتطويره وفقا للفهم الزمني الذي يعي حاجات العصر.[1]

وكذلك التجديد في علم الكلام ليس معناه تجديد في العقيدة الإسلامية أو تبديل في حقيقة من حقائقها، أو تكييف لبعض أحكامها وجعلها مناسبة للواقع، فهذا كله هو من قبيل التأويل الباطل الذي نُهينا عنه شرعا.

هذا ويمكن تعريف التجديد في علم الكلام عند عبد المجيد النجار على أنه "تجديد منهج عرض علم العقيدة الإسلامية بحيث تستعمل فيه الأساليب التي تقنع العقلية المعاصرة، وتكافئ في القوة الأساليب التي يستعملها الخصم في الهجوم"[2]. وهذا معناه تجديد وتغيير في طريقة عرض العقيدة الإسلامية وأسلوب الإقناع بها بما يتوافق مع العصر بيانا واستدلالا وردا للمطاعن والشبه المثارة من قبل خصوم العصر.

وعملية التجديد هذه عند النجار لا تكون إلا بالتخلص من الكثير من الاستدلالات القديمة التي لم يعد لها قبول ولا تأثير في العقلية المعاصرة المتأثرة بالمنطق العلمي، وباستثمار نتائج العلوم الكونية وحقائقها لاستخدامها مقدماتٍ في استدلالات جديدة يكون لها وقع مؤثر يثمر الفهم والاقتناع[3].

كما أنّ قضية التجديد والتغيير عند النجار أكبر من تجديد محدود يستمر في دائرة الفقه أو أصول الفقه أو علم الكلام، وأكثر من عملية إعادة التراث بلغة عصرية، فأولى

[1] – سعيد شبار – الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، ط 1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مكتب لبنان، بيروت، 2007 م: 181

[2] – عبد المجيد النجار – الايمان بالله وأثره في الحياة: 23

[3] – المرجع نفسه: 24

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 389–409 تاريخ النشر: 2018/12/13



البدايات لإحداث التغيير والتجديد إنما تبدأ بإعادة قراءة النص القرآني، وفهمه ضمن متاحات الواقع .[1]

ثانيا : مبررات التجديد في علم الكلام ودواعيه:

دواعي التجديد في علم الكلام عند عبد المجيد النجار متعددة ومن أبرزها:

تغير في العقلية المعاصرة لأبناء الوقت تحتم التبسيط في العرض، والميل بالاستدلال إلى ما يتلاءم مع عقلية المخاطبين بالعقيدة الإسلامية في هذا العصر سواء من المؤمنين بها أو من الواقفين ضدها المناوئين لها، أو من الخالية أذهانهم من الاعتقاد الديني أصلا، وذلك في سبيل ردّ الشبه والمطاعن من قبل المناوئين، وتقوية إيمان المؤمنين ورفعه إلى درجة اليقين، وإقناع من يبحث عن الحقيقة من المتوقفين.[2] وزيادة على ذلك فإن الجيل الحديث وبحكم ما أدركه من تطور في نواحي تفكيره، فقد اعتاد التفكير الواقعي، ذلك النوع من التفكير الذي زكاه الإسلام نفسه.[3] وليس لعلماء الإسلام إلا أن يستجيبوا لهذه العقلية من أبناء الإسلام، والمنهج القويم الأساسي هو أن تعرف على مشكلة هذا الجيل، مشكلته العقلية والفكرية التي تدل على وعيه، أي أن نتفهم الشيء الذي يحس به.[4]

كما أن السبب في ذلك عند النجار أن مناهج النصرة إنما هي مرتبطة بالمخاطبين من الذين يراد إثبات العقيدة لهم، أو ردّ الشبه التي يوردونها أو ترد عليهم. وهؤلاء

---

[1] – عبد المجيد النجار – تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، ط 2، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فرجينيا، 1415 هـ/ 1995م: 25

[2] – عبد المجيد النجار – الايمان بالله وأثره في الحياة: 24

[3] – محمد إقبال– تجديد التفكير الديني في الإسلام، ترجمة عباس محمود، ط 3، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، 1427 هـ/2006 م: 03

[4] – نقد الفكر الديني عند الشيخ مرتضى المطهري، جمع وتصنيف مهدي جهرمي ومحمد باقري، ترجمة صاحب الصادق، ط 1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مكتبة التوزيع في العالم العربي، بيروت، 1432 هـ/2011 م: 112

المخاطبون سواء كانوا من المنتمين إلى الإسلام أو من غيرهم، تتغاير عقلياتهم وثقافاتهم ومكوناتهم الفكرية من عصر إلى عصر بحسب ما يطرأ على المجتمعات من تطورات علمية وثقافية وفكرية، وحينئذ فإنه ينبغي أن يكون المنهج الذي تقدم به إليهم العقيدة الإسلامية منبنيا على ما به يكون إقناعهم بحسب أحوالهم في الفهم والاقناع، وهي الأحوال المتغيرة كما ذكرنا، مما يحتّم التغيير والتجديد في المنهج الذي تقدم به العقيدة إلى الناس .[1]

وعلى سبيل المثال فإن علم العقيدة الذي كان سائدا في القرون السابقة كان مبنيا على المنهج الصوري، فكانت الاستدلالات والشروح فيه تنزع منزعا تجريديا نظريا، وهذا المنهج الصوري لم يعد اليوم يقنع اليوم يقنع الناس، لأن العقلية التي أصبحت سائدة اليوم هي العقلية العلمية والعملية .[2]

من دواعي التجديد الأخرى في علم الكلام عند عبد المجيد النجار هي التحديات والمطاعن والشبه الواردة على العقيدة الإسلامية فإننا نجدها اليوم تختلف عن الشبه الواردة عليها بالأمس، إما في أسلوب الطرح، وإما في أصل المحتوى، فثمة شبه كثيرة تثيرها الفلسفات والمذاهب الحديثة لم تكن مثارة من قبل في أصل موضوعها، إذ هي مشتقة من مستجدات الفكر في تلك المذاهب والفلسفات، وكذلك فإنها تقدم بأساليب في الحجاج تعتمد المعطيات العلمية والفلسفية الحديثة، وهذا كله يستلزم من قبل الفكر العقدي الإسلامي مواجهة مستأنفة في الأسلوب وفي المحتوى معا ليكون الردّ مكافئا للهجوم فيتم نقضه.[3]

والناظر في واقع المسلمين اليوم يدرك حجم التحديات والشبه الموجهة للعقيدة الإسلامية مما يسلتزم التجديد في علم الكلام وكما يقول طه عبد الرحمان : " أن هذا

[1] - عبد المجيد النجار – الإيمان وأثره في الحياة: 25
[2] - عبد المجيد النجار – الإيمان وأثره في الحياة: 26
[3] - المرجع نفسه: 26

الكلام الجديد بمواجهته للإشكالات المستحدثة التي يطرحها الخصم طرحا يعتمد فيه أقوى وسائل الاعتراض والاستدلال يصبح عاملا حاسما في تحديث أدوات المقاربة والتنظير ورفع مستواها الإجرائي، وقوتها الإقناعية لدى المفكر المسلم . [1]

ثالثا : عوائق التجديد في علم الكلام وموانعه:

إذا كان التجديد في علم الكلام الإسلامي صار يوم ضرورة واقعية ومطلبا حضاريا ومقصدا شرعيا فإنه في المقابل تقف في طريق هذه العملية عقبات كؤود، وتحول دون تحقيق المراد موانع متعددة الجوانب والوجوه، وقد رصد عبد المجيد النجار بعضا منها في الكثير من كتبه ولعل أبرزها:

أ / العائق البيداغوجي التربوي:

والمقصود بهذا طريقة تناول وتدريس هذا العلم في الأوساط العلمية والنوادي الثقافية والمحاضن التربوية، فثمة شق كبير من علماء العقيدة الإسلامية ومدرسيها ما يزالون متشبثين بالمنهج القديم والذي كان سائدا منذ قرون لا يحيدون عنه ولا يبدلون ،وما تزال بعض الجامعات والكليات الإسلامية تعتمد في مقرراتها في علم العقيدة على المؤلفات التي أنجزت في القرون السابقة التي شهدت طور الجمود، وذلك على سبيل اعتمادها والاقتصار عليها لا على سبيل الاطلاع والدرس . [2] ومن شأن هذه العملية أن تولد ألفة للطرق السابقة، وتولد مقاومة لكل حركة تجديدية في علم الكلام، والناس يستوحشون كل غريب عن طبائعهم وأفهامهم .

ب / العائق النفسي أو عائق الشرعية والمشروعية:

---

[1] – طه عبد الرحمان – في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط 4، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2010م: 158

[2] – عبد المجيد النجار – الإيمان وأثره في الحياة:

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 389–409 تاريخ النشر: 2018/12/13

سؤال الشرعية والمشروعية بالنسبة لعلم الكلام قديمة، وهو عائق كبير أمام حركة التجديد فيه، فلا زالت " تثار من حين لآخر قضية مدى انتماء بعض العلوم الإسلامية إلى الإسلام وذلك في إطار تقويم مستمر لما يتصل بهذه العلوم رجالا وأقوالا، وعلم الكلام من بين هذه العلوم والدراسات التي نجد كثيرا ممن يشكك في مدى انتسابها إلى الإسلام حقيقة وإن اتسمت بذلك حقيقة، ونلاحظ أنه بصدد علم الكلام أو علم أصول الدين فإن المشككين في هويته الإسلامية تتفاوت مواقفهم من الهجوم الحاد الذي يكاد يصل إلى حد التكفير لأصحابه والمشتغلين به" [1] .

فلا يزال البعض اليوم من المسلمين والدعاة والعلماء والمدارس تردد فتاوى تحريم وذم الكلام وأهله والدعوة إلى اجتناب الخوض فيه وفي مسائله، والبعد عن قراءة كتبه، بغض النظر عن زمن تلك الفتاواى التي قيلت فيها ومناسباتها وسياقاتها، بل أحيانا تتذرع تلك الدعواى بأقوال من الأثر أو الخبر. وكونه يحدث تشويشا في عقائد الناس، أو أنه سبب الفرقة بين المسلمين. وهذه اللجاجة ليست إلا باعتبار ما يتعلق به هذا العلم وهو العقيدة والتي هي رأس الدين وأسه، والحق أن أي علم باعتباره وجها من وجوه التفكير البشري، عرضة للضعف ولكن ذلك لا يستدعي إلغاءه أو رفضه، بل الواجب النظر في الأسباب التي أدت إلى تلك الحال، والعودة به إلى مراحل نشوء هذا العلم وازدهاره . [2]

ج / العائق الإبستمولوجي المعرفي أو الخلل في تقويم التراث الكلامي:

الناظر في مدونات علماء العقيدة الإسلامية وعلم الكلام يجد أنهم خلفوا لنا تراثا معرفيا ضخما وقد ساهم في هذا علماء كثر من مختلف الفرق الإسلامية , فالكل قد بادر

---

[1] – محمد أحمد عبد القادر – الأصيل والدخيل في الفكر الإسلامي (1 . علم الكلام)، د ط، دار المعرفة الجامعية، 2007 م: 355

[2] – عبد المجيد النجار – مباحث في منجية الفكر الإسلامي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992 م: 79–80

في إنضاج هذا العلم وإكمال هيكله الأساسي في مسائله ومنهجه , أو في نجاحه في الدور الذي قام به دفاعا عن العقيدة بإثباتها ورد المطاعن عنها , وفي البداية نشير أن عدم شيوع هذا اللفظ بين السابقين يرجع بالأساس إلى أنه لم يكن أصيلا في بنية تفكيرهم ولم تكن الحاجة ماسة إلى القيام بذلك [1].

والمقصود بالتراث الإسلامي في هذا المقام عند النجار – ومنه التراث الكلامي – ما تناقلته أجيال الأمة الإسلامية من العلوم والمعارف نظرية وتطبيقية في مختلف حقول المعرفة ومختلف مجالات التطبيق في الحياة العملية مما هو من كسبها الاجتهادي في التدين بالدين الإسلامي عقيدة وشريعة . [2] فقد تم الحكم عليه بحسب ما انتهى إليه من تراجع وما خلفه من ضعف وليس بحسب ما تم من إنجازه وقدرته على الدفاع عن العقيدة الإسلامية، الأمر الذي دعا البعض إلى ضرورة التخلص منه وتجاوزه جملة وتفصيلا .

وعليه فلابد من حسن التقويم ليحسن البناء. وكلما درس التراث الكلامي دراسة واعية ومتأنية أمكننا القيام ببعثه وتجديده، وهذا الأمر لا يقوم به إلا المتخصصين ذوي الشأن و"إن أول خطوة في هذا الطريق هي تقدير الواقع الذي يراد إصلاحه وذلك بالتمعن فيه من جوانبه المختلفة ومحاكمته إلى المثال الذي ينبغي أن يكون حتى تتبين مظاهر الانحراف التي تستلزم العلاج " .[3]

---

[1] – عبد العزيز إنميرات – مناهج قراءة التراث في الفكر النهضي العربي، ط 1، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، المملكة العربية السعودية، 1434 /2013 م: 58

[2] – عبد المجيد النجار – مقاربات في قراءة التراث، ط 1، دار البدائل، بيروت، 1422هـ/2001 م م: 57

[3] – عبد المجيد النجار – فقه الإصلاح بين التربية والسياسة (ابن العربي وابن تومرت نموذجا)، ط 1، مطبعة التوفيق، المغرب، 1417هـ/1997 م: 25

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 389–409 تاريخ النشر: 2018/12/13

ويرى النجار أن الفكر العقدي الحديث إذا ما اقتبس من التراث الكلامي السابق في عهد حيويته ونضجه تجربته في التعامل الواقعي مع المشكلات التي واجهت المسلمين أيديولوجياً. وتمثل تلك التجربة في أصولها الفلسفية دون جزئياتها الفرعية، فإنه يمكن أن يقوم اليوم بدور مهم في البناء الأيديولوجي للمسلمين، فيؤسس مرجعية مذهبية تقوم على العقيدة الإسلامية، تندرج تحت سلطانها كل مشاريع الحياة السلوكية في مختلف المجالات، فتستعيد حياة المسلمين وحدتها وانسجامها وقد تمزقت اليوم شر تمزق بين نموذج الانحطاط ونموذج الحياة الغربية، فنبتت فيها المشاكل المعيقة عن تحقيق الخلافة غاية الوجود الإنساني [1].

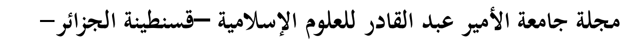
رابعا : معالم التجديد في علم الكلام وتطبيقاته عند النجار .

المتتبع لما طرحه واقترحه عبد المجيد النجار في قضية التجديد في علم الكلام يجد أنها تركزت أساسا على مستويين هما التجديد في جانب موضوع علم الكلام وجانب الطريقة والأسلوب الذي يتم به عرض العقيدة، كما يجد أن النجار لم يقف عند الجانب النظري فقط وإنما تعداه إلى الجانب التطبيقي الفعلي، وهو ما يظهر في كتابه الإيمان وأثره في الحياة، وفي سلسلة الكتب بعنوان الإنسان في العقيدة الإسلامية، وسنقف على كل جانب من الجوانب المذكورة مبرزين مسائله وطبيعته .

أ / التجديد في الموضوع والمضمون :

يرى النجار أن الشواغب والشواغل الفكرية للعقل المسلم اليوم لم تبق هي تلك التي كانت تشغل بال المسلم بالأمس، وعليه فالفكر الكلامي العقدي اليوم يجب أن يطرح القضايا والموضوعات التي تمثل مشاكل حقيقية تعيشها الأمة على المستوى الأيديولوجي، وأن يكون ترتيبها في الطرح من حيث الأهمية بحسب أهميتها الواقعية من حيث حجمها في

[1] – النجار – مباحث في منهجية الفكر الإسلامي: 159–161


مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 389–409 تاريخ النشر: 2018/12/13

الإشكال وإلحاحها فيه [1] . وذلك لأن كل واقع ظروفه وأحواله ولكل فكر نظرته ونظرياته فقد كانت هناك بعض القضايا كانت محل هدف للهجوم الشديد بالأمس لم تعد كذلك اليوم، في حين قفزت قضايا أخرى اليوم أصبحت عرضة للنقد والتحدي وجب الاهتمام بها بالبحث والدراسة إثباتا لها وردا للمطاعن عنها [2].

ولكن هل هذا معناه إلغاء لقضايا العقيدة الإسلامية التي تناولها الفكر الكلامي القديم واستبدالها بمواضيع أخرى أكثر إلحاحا منها ؟

يجيب النجار على هذه المسألة أنه : "من حيث القضايا والمسائل ثمة ثوابت لا يقوم الفكر العقدي بدونها، وهي أساسيات العقيدة الإسلامية فيما تقوم عليه من إيمان بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر والقدر الإلهي خيره وشره، فهذه ستظل باقية ركناً ثابتاً في الفكر العقدي على مر العصور، لأنها من جهة تمثل ركائز الأيديولوجية الإسلامية التي تتفرع منها كل وجوه المنظومة الفكرية والسلوكية، وهي من جهة ثانية عرضة للتحدي الأيديولوجي في كل زمان مما يجعل الدفاع عنها أمراً سارياً بسريان التحدي [3].

بينما هناك قضايا لم يبق اليوم مبرر لبحثها في الفكر العقدي الحديث، إلا أن يكون ذلك باعتبارها جزءاً من تاريخ الفكر الإسلامي، فقيمة البحث فيها قيمة تاريخية وليست قيمة واقعية تسهم في حل المشاكل الراهنة. ومن الأمثلة التي يمكن ذكرها في هذا الصدد قضية الذات الإلهية في علاقتها بالصفات، وقضية خلق القرآن، وتأويل الصفات الخبرية، والمفاضلة بين الأنبياء والملائكة، والمعاد هل هو جسماني أو روحاني، وأشباهها من المسائل التي لا تمثل اليوم إشكالات عقدية ولا علمية في حياة المسلمين، ولكنك تجد بعض

---

[1] – عبد المجيد النجار – مباحث في منهجية الفكر الإسلامي: 153

[2] – عبد المجيد النجار – الإيمان بالله وأثره في الحياة: 27

[3] – النجار – مباحث في منهجية الفكر الإسلامي: 153

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 389–409 تاريخ النشر: 2018/12/13

الطوائف الإسلامية ما زالت تتشبث ببعضها متخذة منها محور الجدل ومنشطاً للفكر العقدي يلهي عن المشاكل الحقيقية التي ترهق الواقع الإسلامي [1].

ومن مظاهر تطبيق النجار لهذه المنهجية التي يدعوا إليها على المستوى الواقعي ما نلاحظه في عرضه لركن الإيمان بالله تعالى في كتابه الإيمان بالله فقد تناوله بطريقة جديدة غير مألوفة عند المتقدمين – في تقديري – بحيث نجد أنه بعد عرضه لمقدمات منهجية دقيقة اتجه إلى إبراز شواهد الفطرة الايمانية بالله وحواجبها وموقف القرآن من النظر العقلي في الفصل الأول، ثم أعقب ذلك بالحديث عن الايمان بالله تعالى وأدلة وجوده في الفصل الثاني ثم وقف طويلا في الفصل الثالث عند مسألة الصفات على غير طريق القدماء ،وركز في بيانها على تلك التي تكون عرضة للانحراف في التصور، وتلك التي جاء الوحي يوليها الاعتبار الأكبر في البيان والتأكيد والتصحيح [2].والملفت لانتباه أنه أعرض بالكلية عن الحديث عن موضوع العلاقة بين الذات والصفات وعن موضوع خلق القرآن وعن موضوع الصفات الخبرية إلا ما كان عرضا كالإشارة إلى ملابسة كل قضية وظروف نشأتها دون تفسيق لأحد أو تضليل، ثم في الفصل الأخير تناول فيه الآثار العملية والنفعية لهذا الإيمان إذا تم على الوجه الصحيح .

ومن القضايا التي تستدعي البحث في الواقع الجديد أن تطرح في مجال الاهتمام والتي يمكن أن تدرج في نطاق الفكر العقدي الحديث موضوع الإنسان من منظور كلي عام. يرى النجار أنّه يكون من الضروري أن يتّجه الفكر الإسلامي اليوم إلى إفراد قضية الإنسان وقيمته الذاتية ومنزلته في الكون، وغاية وجوده، ومصيره ببيان مستقلّ وشامل كقضية عقدية أصلية يستجلي أبعادها في أصول القرآن والحديث، ويثريها بما كتب السابقون فيها بصفة مباشرة أو غير مباشرة، ويستفيد ممّا توصّل إليه الكسب الإنساني العام

---

[1] – المرجع نفسه: 153–154

[2] – عبد المجيد النجار – الإيمان بالله وأثره في الحياة: 117



في العلوم على سبيل الاستدلال والبيان[1]. فهذه القضية تشكل اليوم مطلبا عقديا ملحا وهي من المسائل لم تنل الاهتمام في الفكر الكلامي الموروث إلا أن تكون جزئيات متفرقة في أثناء موضوعات أخرى. وذلك بالنظر إلى ما يشكوه العالم الإسلامي من مظاهر عديدة لامتهان الإنسان، وإهانة كرامته، وإهدار قيمته، وبالنظر إلى ما تتقلب فيه حياة المسلمين على غير وعي بالمهمة التي من أجلها خلق الإنسان [2].

ومن مظاهر تطبيق النجار لهذه الدعوة التي يدعوا إليها على المستوى الواقعي ما نجده في المحاولة التي قدمها ووضعها في استجلاء صورة لحقيقة الإنسان مؤصلة في العقيدة الإسلامية كصورة مستقلة ومتكاملة، وذلك في خمسة محاور أساسية يمثل كلّ محور منها حلقة في سلسلة تشرح هذه الحقيقة من جوانبها المختلفة. ففي المحور الأوّل تحدث عن مبدأ الإنسان في ماهية ووجوده والعلاقة بينهما، ومبدؤه في الزّمن ككائن متميّز عن سائر الكائنات. والثاني تناول فيه قيمة الإنسان من حيث ذاته، ومن حيث منزلته في القرآن. والثالث سيتناول فيه القّوام الإنساني في تركيبه الطبيعي روحيا وماديا. والرابع سيتحدث فيه عن الغاية التي من أجلها وجد الإنسان والوظيفة التي عليه أن يقوم بها في الحياة. وفي الخامس حديث عن مصير الذي يؤول إليه الإنسان بعد غيابه عن مسرح الحياة الدّنيا. وكل محور من هذه المحاور سيحاول أن يتبين فيه حقيقة الإنسان انطلاقا من نصوص الوحي، واستعانة بآراء وبيانات المفكّرين الإسلاميين، ومقارنة نقدية ما أمكن بالآراء والمذاهب

[1] – عبد المجيد النجار – مبدأ الإنسان، ط 1، دار الزيتونة للنشر، الرباط، المغرب، 1417هـ/ 1997م: 13

[2] – عبد المجيد النجار –الإيمان وأثره في الحياة: 156

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112–4040, ر ت م د إ : 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 389–409 تاريخ النشر: 2018/12/13

الفلسفية، إبرازا لما تتميز به العقيدة الإسلامية في تقديرها للإنسان من أثر نفسي تربوي يعود على المؤمن بها النّفع الدّنيوي العاجل قبل النّفع السّرمدي الآجل[1].

كما يرى النجار أن تأصيل أيديولوجية واضحة في قضية الإنسان على أسس عقدية إسلامية أمر بالغ الأهمية، على اعتبار أن إدراجها في هذه المباحث من شأنه أن يجعلها في موقع المرجعية الموجّهة للكثير من العلوم الإنسانية، إذ هذه العلوم إنّما هي مصاغة بحسب التقدير الإيديولوجي لحقيقة الإنسان، فتكون إذا ما أدرجت في ذلك الموقع موجّها عقديا لتلك العلوم وعلى اعتبار أن كل التشريعات التي تصرف شؤون الحياة العملية تتوقف في روحها وفي صياغتها على مقتضيات تلك الأيديولوجية، فإذا لم تكن مؤصلة على أساس عقدي سليم جرت التشريعات على غير هدى من الدين.[2].

ب – التجديد في المنهج والأسلوب :

لا يتم تحقيق التجديد في علم الكلام فقط بأن تتغير فيه بعض القضايا والمسائل وإنما يجب أن يمس التجديد مستوى الخطاب في شقه الإجرائي والكيفي، والمقصود بتجديد المنهج والأسلوب عند النجار أن تكون الطريقة التي تقدم بها الموضوعات العقدية المستصحبة والمستجدة طريقة مبنية على المعطيات الواقعية لعقليات المخاطبين ضماناً في ذلك لأن يكون الخطاب نافذاً إليهم، مقنعاً لهم، لا على أساس أن الغاية هي الإقناع شأن المنهج الخطابي في المنطق اليوناني القديم، ولكن على أساس أن الغاية هي الإقناع بالحق [3].

[1] – عبد المجيد النجار – مبدأ الإنسان، ط 1، دار الزيتونة للنشر، الرباط، المغرب، 1417هـ/ 1997م: 14 . ونشير هنا أنه طبع للنجار من هذه السلسلة المحور الأول والثاني فقط . أما بقية المحاور فلم نطلع عليها لعدم نشرها .

[2] – المرجع نفسه: 13 . وعبد المجيد النجار –الإيمان وأثره في الحياة: 156–157

[3] – النجار – مباحث في منهجية الفكر الإسلامي: 158



والذي يؤكد هذه المسألة ويبشر بها عنده، هي طبيعة العقلية والذهنية المعاصرة لأبناء الوقت، والتي من أبرز مظاهرها أنها عقلية تقتنع بالأسلوب الذي يستخدم حقائق العلم التجريبي واكتشافاته، والذي يستعين أيضاً بمعطيات العلوم الإنسانية والاجتماعية كقوانين علم النفس وعلم الاجتماع، وفيما يترتب عنه من مشاغل ومشكلات، وفيما يثمره التاريخ من العبر والعظات. فالواقع الكوني الطبيعي والواقع الإنساني الاجتماعي هما المادة الصالحة لأن تتخذ منها مقدمات استدلالية مقنعة للعقلية الراهنة [1].

وتطبيقات النجار لهذه الدعوة تجلت بشكل ظاهر للعيان في مبحث البرهنة على وجود الله في كتابه الإيمان، وتحديدا في مسألة بطلان قدم الكون، فلم يكتف بدليل المتكلمين القديم أو ما يسمى بدليل حدوث الأعراض وإنما أضاف عليه دليلين علميين واضحين للأذهان معروفين عند المتعلمين وهما دليل التناقص الحراري ودليل التوسع الفلكي، وفي بطلان الصدفة لم يقف عند المتكلمين فقط وهو دليل النظام وإنما زاد عليه دليلين أخرين وهما دليل البرهان الرياضي ودليل البرهان الوراثي البيولوجي [2].

والنجار حينما يقترح هذه الطريقة فهو في هذا يستند إلى تجارب المتكلمين السابقين حيث كان علم الكلام يؤذي وظيفته الصحيحة، فقد كانوا يستعينون ببعض الحقائق العلمية من أجل توظيفها لخدمة العقيدة الإسلامية وليس هذا المنهج بغريب عن المسلمين بل هو منهج قرآني خالص، والناظر فيه يجد أنه بنى خطابه الإقناعي على أصول الواقع الكوني والإنساني. وهو ما يبدو في استخدام الآيات الكونية مقدمات في الاستدلال على حقائق العقيدة، واستخدام العبر التاريخية باعتبارها وقائع إنسانية في الإقناع بما يبشر به من

---

[1] – النجار – مباحث في منهجية الفكر الإسلامي: 158

[2] – انظر تفصيل هذه الأدلة، عبد المجيد النجار – الإيمان وأثره في الحياة: 77–95


مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د : 1112-4040, ر ت م د إ : 2588-204X
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 389-409 تاريخ النشر: 2018/12/13

تعاليم تتعلق بمصير الإنسان وغاية وجوده، والانطلاق من المصلحة العملية للإنسان في حمله على التسليم بأسس العقيدة الإسلامية [1].

وحتى لا نمضي بعيد في توظيف هذه الحقائق العلمية والاجتماعية والنفسية يقتضي هذا المنهج الواقعي في جانبه العلمي عند النجار رصد نتائج العلم التجريبي في دائرته الكونية ودائرته الإنسانية، واستخلاص تلك الحقائق التي تنطوي على دلالة واضحة على مسائل العقيدة، ثم بناء أدلة عقلية منها على تلك المسائل [2]. وكأني بالنجار هنا يحذر من مغبة الانسياق وراء الاستعانة ببعض الحقائق العلمية المتغيرة، مما ينعكس سلبا على الحقيقة العقدية المراد البرهنة على صحتها. خاصة وأن زمام العلم التجريبي اليوم بيد غير المسلمين.

كما يقتضي هذا المنهج في جانبه الواقعي رصد مجريات الأحداث في واقع الإنسان من حيث ما يعانيه من الإحباط النفسي والاجتماعي والاقتصادي، وما هو سائر إليه من مصائر مظلمة بسبب مناهج يتبعها في حياته ناشزة عن الهدى الديني في توجيه السلوك البشري . وكذلك بيان الوجه المعاكس لها متمثلاً في المغانم الروحية والمادية التي يثمرها ذلك الهدى، وإبراز ذلك كله في استطلاعات ميدانية إحصائية، ثم صياغتها في استدلالات عقلية على حقانية القانون الإسلامي وبطلان مناقضاته من القوانين الوضعية ما يبرز أن حلول المشاكل التي يعاني منها إنسان اليوم في المجال النفسي والاجتماعي والاقتصادي تمر عبر التشريع الإسلامي في أسسه الأصلية الثابتة[3].

ومن عناصر تجديد المنهج والأسلوب عند النجار في علم الكلام بيان الأثار العملية لقضيا العقيدة ومنها الإيمان بالله تعالى وإعادة صياغة الحقائق الدينية المجردة بربطها بمعطيات الواقع في حياة المسلمين لتنزيل الدين تنزيلاً زمنياً على هذا الواقع فيما يشبه العمل

[1] – النجار – مباحث في منهجية الفكر الإسلامي: 158-159

[2] – المرجع السابق: 159

[3] – المرجع السابق: 160

ولا يكون تحقيق هذه الأغراض إلا بصياغة مشاريع عملية من تلك الحقائق المجردة تتوجه بها الحياة الواقعية وجهة دينية، فيحقق الدين أغراضه في توجيه الحياة، وهذه مهمة الفكر العقدي وهي مهمة لا يمكن أن تتم بغير الإلمام الوافي بواقع الإنسان في طبيعته وخفاياه والعوامل المؤثرة فيه [1].

ومن تطبيقات هذا الأسلوب عنده ما ذيله في كتابه الإيمان من بيان الأثار النفعية والعملية للإيمان بالله تعالى إذا ما تم على الوجه الصحيح على حياة الفرد والمجتمع . [2]

النجار بدعوته إلى الأساليب المتقدمة لا يمنع من أن يبقى الفكر العقدي على صلة بالمنهجية الفلسفية العقلية المجردة، وكذلك الأمر بالنسبة للأسلوب العاطفي الروحي، ولكن تبقى كما يؤكد الصبغة العامة للمنهجية العقدية منهجية علمية عملية فإنها أنفذ في واقع اليوم إلى العقول، وأدعى إلى الإقناع، وأصلح في تسديد الواقع الإنساني بالهدى الديني . [3].

ومن خلال ما تقدم من الدراسة يمكن تسجيل النتائج والتوصيات التالية:

1- أن مفهوم التجديد في علم الكلام أو علم العقيدة لا يمس أبدا العقيدة الإسلامية بأي حال من الأحوال عند عبد المجيد النجار، وإنما يتعلق التجديد بأسلوب العرض وطريقة التلقين.

2- أبرز النجار فروقا جوهرية وتباينات أساسية بين علم العقيدة أو علم الكلام وبين العقيدة الإسلامية كثيرا ما ساهم هذا التداخل بينهما إلى الإضرار بالعقيدة من جهة وإلى الإساءة إلى العلم المهتم بها من جهة ثانية.

---

[1] - المرجع السابق: 160. وعبد المجيد النجار –الإيمان وأثره في الحياة: 07

[2] - النجار ا- الإيمان: 164

[3] - النجار – مباحث في منهجية الفكر الإسلامي: 161

3– التجديد في علم الكلام رغم أهميته إلا أنه عملية صعبة تقتضي تجاوز عدة عقبات على عدة أصعدة وجوانب بعضها ثقافي وأخرى نفسية وبعضها منهجية وأخرى اجتماعية ..

4– التجديد في علم الكلام عمل منهجي صارم لا يتحقق ما لم يتأسس على علم الكلام القديم لكي يقف عند عوامل قوته لكي يأخذ بها ويرصد نقاط ضعفه لكي يتجاوزها ويتفادها لتتحقق الفائدة التي وجد من أجلها، وهذا لا يكون عند النجار إلا مارسه المتخصصون في علم العقيدة اليوم.

5– النجار لم يقف في بيانه لمقتضيات التجديد ودواعيه عند الجانب النظري والتأصيلي، وإنما حرص على تقديم مساهمات عملية تطبيقية لهذ الدعوة من خلال موضوعين كبيرين من مواضيع علم العقيدة أحدهما في جانب الإلهيات والأخر في جانب الإنسان من حيث الحقيقة والقيمة والغاية .